الترجمة في الحضارات القديمة

د. فؤاد عبد المطلب(*)

إن تأثُّر ثقافة بثقافة، أو بثقافات أخرى، لا يعني أبدًا أن الثقافة المتأثرة قاصرة أو متلقِّية على نحو سلبي، ولكنه يعني أن هذه الثقافة حيّة، فالتأثير هو نتيجة طبيعية للاحتكاك الثقافي وهو دليل جليّ على حيوية الثقافة المتأثرة، لأن التأثير لا يكون إلا في ثقافة حيَّة والثقافة الميتة لا تتأثر. لذلك كان أحد مقاييس قوة ثقافة ما هو حجم وكيفية استقبالها لما يجيئها من ثقافات أخرى، وما ينتج عن هذا الاستقبال من نتائج مادية ومعنوية. لقد تأثرت الثقافة العربية وتطورت، ثم أثَّرت في ثقافات أخرى فيما بعد وأدت إلى تطورها. وقد كان أول طريق لذلك الترجمة من لغة الثقافة المؤثِّرة إلى لغة أو لغات الثقافة المتأثرة. أما النتيجة فكانت غالبًا هي التطور، وظهور معارف جديدة في الثقافة المتأثرة. ولا بد من الإشارة في هذا الإطار إلى أن موضوع التأثير والتأثر على درجة من الاتساع والعمق، لكننا في كثير من الأحيان نجد أنفسنا مضطرين إلى الخوض في الماضي بحثًا عن قضايا محددة أساسية. إن الخوض في الماضي ليس غاية في ذاته، لأن الماضي ميت إلا بقدر ما يحيا ويُؤثر في أفكار الناس وسلوكهم في أيامنا هذه، ولا قيمة لدراسة التاريخ إلا بقدر ما يُنير الحاضر، ويساعد على التوجه نحو المستقبل. فقد كان التأثير والتأثر يحصل ضمن تفاعل الثقافات انطلاقًا من الاحتياجات الداخلية الأساسية والثانوية، أي من البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية والأخلاقية والسياسية. كما كانت العوامل المؤثرة تخضع لعمليات تكييف وتعديل معقدة، لتتقدم ثانية لا كما هي في ذاتها، بل بما صارت عليه بعد مرورها في قنوات الأقلمة والتطبيع. وهذه العوامل المؤثرة غالبًا ما

(*) أستاذ اللغة الإنكليزية والأدب المقارن بجامعة حمص.

استثارت وحفّزت ردود فعل أو استجابات ليست أقل تعقيدًا منها، بل ربما كانت تحمل مؤثرات من جنس مؤثرات تلك العوامل. إن الغرض من هذه الخلاصة هو التأسيس للنقاش لاحقًا.

مع أننا نجد لكل علم وفن تاريخًا يؤرِّخ لظهوره وتطوره وتأثيره في الحضارة الإنسانية، سواء كان ينتمي إلى العلوم الإنسانية أو التطبيقية أو كان يخص الفنون أو الآداب أو الموسيقا، فإننا لا نجد تاريخًا لغويًّا وفكريًّا للترجمة في كثير من بلدان العالم أو في معظمها. ولا يظهر هذا النقص المريع قدر ما يظهر لدى دراسة حركة الترجمة عند العرب، بالمعنى الواسع للكلمة، إذ يصرّ معظم دارسي هذه الحركة، في أحسن الأحوال، على تأكيد ظهورها في العصور الإسلامية الأولى أو تحديدًا في العصر الأموي، وكأن عملية الترجمة والتعريب ظهرت في المجتمع العربي الإسلامي دفعة واحدة، من خلال شخصية منفردة أو عمل واحد في تاريخ محدد، وكأن العرب قبل ذلك، مثلهم مثل غيرهم من الشعوب لم يعرفوا لغات الشعوب، خصوصًا المجاورة، ولم يحتكوا تجاريًّا وسياسيًّا وثقافيًّا بتلك الشعوب ولم يخالطوها إنسانيًا وعرقيًا، ولم يكن ثمة من يقوم بعملية الاتصال تلك. إن دراسة تاريخ حركة الترجمة عند العرب ما تزال بحاجة إلى مزيد من البحث والتقصي بُغْيَةَ الوصول إلى الحقيقة أولاً، والدفاع عن أصالة الفكر والتراث العربيين ثانيًا، ومن ثم الرد على المزاعم التي كانت ولا تزال تتردد أن العرب لم يترجموا لأنهم كانوا لا يتعلمون اللغات الأجنبية، ولم يكتبوا لأنهم أميّون أو شِفاهِيُّون. ولا تدّعي هذه الدراسة التصدي الكامل لهذا الموضوع الواسع والمعقد، إذ إنه بحاجة إلى دراسة تخصصية مستقلة مطولة، بيد أنها تحاول مقاربة موضوع قِدَم الفعل الترجمي لدى العرب، وقِدم علاقاتهم المتنوعة بالشعوب الأخرى، واستفادتهم من ذلك في إغناء مختلِف جوانب حياتهم العلمية والعملية وتطويرها بما يناسبهم. ويمكننا الإشارة بشيء من التعميم إلى أن وظيفة المترجم قد عُرفت في

جميع المناطق حتى المهجورة في مجاهل إفريقية والبرازيل والأمازون، كما أنها عُرفت أيضًا منذ أقدم العصور. ففي القرن الثاني قبل الميلاد وُجدت في آسيا الصغرى، وكان لدى الآشوريين والبابليين والحثيين أماكن مخصصة للمترجمين، فكاتبٌ للخطابات المصرية وآخر للآرامية[١].

كانت الحاجة إلى الترجمة حاجة قديمة، مغرقة في القدم[٢]. فقد عرف العرب الترجمة منذ أوقات مبكرة قبل الإسلام، فقد كانوا يفدون إلى بلاطات الفرس والروم. وكان منهم من يعرف الفارسية، ومنهم من يعرف اللاتينية والسريانية (الآرامية) والعبرية. كما كانت القياصرة والأكاسرة يستخدمون التراجمة في دواوينهم، وكان للقصر دائمًا تُرْجُمان يتعامل مع الوافدين إليه ممن لا تُعرف لغاتهم. وفي الواقع، كان للترجمة وجود مرموق قبل عهد الروم والفرس، فقد كان في مصر مثلاً – أيام الإمبراطورية القديمة — موظفون كبار في منصب كبير المترجمين، كما كان هذا لقب أمراء جزيرة «فيلة» وكان يُتوارث أبًا عن جد[٣]. وإذا رجعنا في الزمن، نجد أن أقدم المترجمات إلى اللغة العربية هي: النقوش البابلية وألواح الحثّيين، ونقوش تل العمارنة، وألواح مدينة نينوى، ورُقم ماري وإيبلا ورأس شمرا، وحجر رشيد. وبإمكاننا هنا إلقاء الضوء على بعض هذه الترجمات. إن من أقدم شواهد الترجمة المعروفة ما انتهى إلينا من الألف

(١) د. محمد عوني عبد الرؤوف، «الترجمة عند الساميين والعرب»، صحيفة الأندلس، مدرسة الألسن، العدد الأول، ذو القعدة ١٣٩٢، ديسمبر ١٩٧٢، ص ٨٨.

(٢) انظر، محمد عوض محمد، فن الترجمة (مصر: معهد البحوث والدراسات العربية — جامعة الدول العربية، ١٩٦٩)، ص ٦–٧؛ وانظر، شحادة الخوري، الترجمة قديمًا وحديثًا (سوسة/تونس: دار المعارف، ١٩٨٨)، ص١٧–١٨.

(٣) انظر، د. محمد عوني عبد الرؤوف، «الترجمة عند الساميين والعرب»، صحيفة الأندلس، ص ٨٩–٩٠.

الثالث قبل الميلاد، عندما عبَّر الملك الآشوري سرجون عن بهجته في نشر تفاصيل غنائمه نشرًا مزخرفًا بمعالم الزينة المتقنة، وبلغات كثيرة في أرجاء إمبراطوريته. كما كانت بابل في عهد حمورابي (قُرابة عام ٢١٠٠ ق.م) مدينة يتكلم أهلها لغات متعددة. ومما يجعل إنجاز الكثير من الأعمال الرسمية الخاصة بالإمبراطورية أمرًا ممكنًا توفُّر مجموعة من النسَّاخين الذين يترجمون المراسيم الصادرة إلى مختلف اللغات. ومن الواضح أن قسطًا معيّنًا من عمل هؤلاء المترجمين القدماء يكمن في جمع وتصنيف قوائم الكلمات في مختلف اللغات، إذ إن بعض هذه «المعاجم» حُفظ على رُقم طينية مسمارية في مختلف المواقع الأثرية التي تنتسب إلى حقب تاريخية مختلفة(٤). لقد اكتُشف العديد من مكتبات وادي الرافدين في مواقع لمدن مثل أور ونينوى ونيبور وأوروك تعود إلى الألف الثاني والثالث قبل الميلاد. فمثلاً، يُعتقد أن مكتبة نينوى هي أعظم مكتبة عرفها العالم القديم. وتعود شهرة هذه المكتبة إلى الملك آشور بانيبال ٦٦٨–٦٢٥ق.م، الذي كان يتمتع بثقافة عالية ومعارف واسعة، وقد جمع فيها آداب آشور وبابل ونظّمها، وأمر أن تُوضع فيها نسخة مبوَّبة من النصوص المستقاة عن محفوظات المدن والمعابد كافة، وعيّن عددًا من النسّاخ لإتمام هذا العمل. أما من حيث التنظيم فقد رُتبت الرُقُم وفقًا لموضوعاتها وأُعدت لها فهارس تُسهِّل الرجوع إليها. واشتملت الموضوعات على العلوم والأدب والفنون والشعر والسحر والطقوس الدينية واللغة والخط والطب والأساطير والحكايات. وفيها اكتُشفت الألواح الاثنا عشر التي احتوت على

(٤) انظر، أ.نيدا،نحو علم للترجمة، ت.ماجد النجار، (بغداد: مطبوعات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٦) ص٣٧–٣٨.

ملحمة جيلجامش ودائرة معارف لقواعد اللغة الآشورية البابلية(٥). إن حضارة آشور قديمة قد سبقت الحضارتين الإغريقية والرومانية، وقد ازدهرت حتى قبل بناء الأهرامات في مصر، وقد كانت مدينة نينوى عاصمة ملك آشور العظيم سنحاريب في إبّان قوة آشور فيما بين عامي ٧٠٥-٦٨١ ق.م، وقد اكتشف علماء الآثار أروع فنون العمارة والنقوش في الحضارة الآشورية، وكان أهم هذه الكشوف المكتبة الملكية للملك آشور بنيبال حفيد سنحاريب. فقد عُثِر فيها على آلاف من ألواح الصلصال والأسطوانات التي عليها كتابات مسمارية، وقد استطاع العلماء فك رموز هذه الكتابة عام ١٨٥٧م، وبذلك أمكن قراءة الكتابة البابلية والآشورية، وجاء ذكر مكتبة آشور بنيبال في الإنجيل، وترتبط بها قصة النبي يونس بن متّى ذي النون صاحب الحوت من أنبياء بني إسرائيل الذي جاءت سورة في القرآن الكريم باسمه، هي سورة يونس/ كما جاء ذكره في عدة سور من القرآن الكريم (الأنبياء والقلم والنساء والأنعام والصّافات).

فيما يخص عهد المصريين القدماء قد تكون أول إشارة إلى وجود مترجمين هي الرسائل التي أرسلها أمراء الشام إلى أخناتون يطلبون فيها المال أو المعونة. وتتوالى الإشارات بعد ذلك كما نرى في المعاهدة التي عُقدت بين فرعون مصر وملك الحثيين، حيث وُجد لوح حثي في (بوغاز كوي) في الأناضول عام ١٩٠٦م، يُظهر معاهدة أُبرمت بين الملك الحثي (خاتوسيليس الثالث) وبين رمسيس الثاني عام ١٢٧٨ ق.م، وتُعد هذه المعاهدة أقدم معاهدة مكتوبة عُرفت في التاريخ القديم بين دولتين، كما تُعد هذه المعاهدة

(٥) لمزيد من التفاصيل حول مكتبات العالم القديم، انظر، د. نجيب غزاوي، «المكتبات عبر التاريخ»، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية - سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد ١٤ (العدد ١) ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص ١٨-٣١.

وثيقة في القانون الدولي يرجع عهدها إلى ثلاثة آلاف عام[٦]. فنحن نعلم أنه كان للمصريين صلات بجيرانهم، وكانت لهم بعثات تحمل الهدايا وتتسلم بضائع متعددة من بخور ومعادن وغلاّت متنوعة، فكان لا بد لهم من أن يعرفوا لغة البلدان التي يتعاملون معها أو أن تعرف تلك البلدان لغتهم، وكان لا بد من وجود مترجمين يفهمون عنهم أو يُعبّرون عن رغباتهم إذا لم يتمكنوا من معرفة هذه اللغات[٧]. وإن كثيرًا من شؤون العالم القديم حفظته لنا الآثار المصرية. ويمكننا أن نشير هنا إلى حجر رشيد المشهور الذي عُثر عليه في عام ١٧٩٩م، والذي يحمل كتابات بثلاث لغات: الهيروغليفية والديموطيقية (اللغة الشعبية اليومية للمصريين)، واليونانية، وهو يرجع إلى عهد البطالمة. يُعد حجر رشيد الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد أشهر عمل في الترجمة وصل إلينا من العالم القديم. وهو حجر من البازلت، يحتوي في الواقع على كتابة مزدوجة، وهي نص كُتب بشكلين من الكتابة: الهيروغليفية والشعبية الدارجة، وإضافةً إلى ذلك يحتوي الحجر على ترجمة لهاتين الكتابتين باللغة الإغريقية. والنص عبارة عن شكر الكهنة للملك بطليموس الخامس (حكم في المدة ٢٠٣–١٨٠ق.م) على عطاياه التي قدمها للمعابد. وقد وفر هذا الحجر المفتاح الذي فُتحت به أسرار مصر القديمة بفضل فكّه لمغالق الكتابة الهيروغليفية المصرية. واستطاع شامبليون أن يتوصل إلى فك رموز الخط

(٦) انظر، د. عز الدين محمد نجيب، أسس الترجمة (القاهرة: مكتبة ابن سينا، ١٩٩٥) ص٥، وانظر، د.يحيى وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨) ص ١٣٣.

(٧) انظر، المرجع السابق، ص ٨٩–٩٠؛ومحمد عوض محمد،فن الترجمة،ص٧–٨. يستفيد د. محمد عوني عبد الرؤوف وشحادة الخوري في دراستيهما على نحو واضح من كتاب ((فن الترجمة)) للدكتور محمد عوض محمد.

الهيروغليفي عن طريقه. ولكن البحث كشف عمّا هو أعرق في القدم من حجر رشيد، وهو ألواح تل العمارنة، التي ترجع ألواح تل العمارنة إلى عهد أخناتون، إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وهي تبين أهمية الترجمة ومدى اهتمام القدماء بها. وألواح تل العمارنة هذه ألواحٌ من الخزف المحروق، كان يُكتب عليها (وهي طرية) ثم يحمى عليها في فرن فتصبح جامدة صلبة. ولم تكن الكتابة على هذه الألواح بالحروف الهيروغليفية، بل كانت الكلمات المسطرة عليها مكتوبة بالخط المسماري المنتشر في بابل، وقد وُجد منها نحو ستمئة لوح في تل العمارنة بمديرية المنيا بالمنطقة التي بها مدينة آخت آتون، التي أسسها أخناتون لتكون عاصمة له. ويبدو أن كثيرًا من هذه اللوحات، أو معظمها، كان أول الأمر في مدينة طيبة، ثم نقلها أخناتون معه، إلى عاصمته الجديدة، ويبدو أنه اتخذ له في العاصمة، دارًا لحفظ الوثائق، أودع فيها هذه المجموعة من اللوحات.

إنه لأمر طبيعي أن تكون هناك لوحات من القرميد عليها كتابات بالخط المسماري، فقد كانت هذه الطريقة المتبعة في حوض دجلة والفرات. على حين كان المصريون ينقشون كتاباتهم على البردي، منذ زمن قديم. كان سكان بابل يحفظون كتاباتهم مدةً طويلة بأن يحفروها على الألواح الطينية، ثم يحرقون الطين فيكتسب صلابة ومتانة. وكانت هذه طريقة البابليين والآشوريين وممالك أخرى في العراق القديم. لكن أن توجد هذه الألواح في مستودع خاص في صميم وادي النيل، في حجرة المحفوظات في ديوان ملك مصري عظيم، فهذا أمر ملفت للنظر، فهو يوحي بجدية العملية نظرًا للأهمية التي أُحيطت بها الألواح. وتزول الغرابة بعض الشيء إذا نظرنا إلى أن هذه الألواح تحمل نقوشًا باللغة الأكدية. فهي لم تُكتب في مصر ولم تُصنع في وادي النيل، بل جاءت من خارج البلاد،

بعضها من بابل، وبعضها من آشور، ومن مملكة مِتَني، ومن عند الحثيين في الأناضول، وجزر اليونان، وجميعها كُتبت بالخط المسماري، وبلغة واحدة، سواء أكان مصدرها بابل أم سورية أو آسيا الصغرى أو بلاد اليونان(٨). ولا بد أنه كان هناك اتفاق سالف، على أن تكون المراسلات الدولية آنذاك بلغة موّحدة، وكانت مصر بدورها ترد على هذه المراسلات بنفس اللغة الأكدية، فقد عثر الباحثون على بعض رسائل مصر بين آثار الحثيين في (بوغاز كوي) بالأناضول. بناءً على هذا القول، لم يجد القدماء في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، بأسًا في أن يتفاهموا بلغة غير لغتهم، وكتابة غير كتاباتهم؛ فأن تقوم مصر والحثيون باستعمال لغة أجنبية بالنسبة لكلا الطرفين، لا يمكن أن يَحْدث إلا بناءً على تَقبُّل أو عرف أو اتفاق مسبق بين جميع الأطراف المعنيَّة. وفي الحقيقة إن هذا المثل من أقدم وأوضح الأمثلة لما يُمكن أن يُطلق عليه اليوم اللغة الدبلوماسية أو اللغة الدولية. ولعل هذه الحالة تذكِّرنا بشكل ما باستعمال اللغة الإنكليزية من قِبل بلدان وهيئات وأفراد في كثير من الشؤون الحيوية المعاصرة.

يرتسم حاليًّا توجه جديد في الأبحاث الأثرية في المنطقة العربية بعامّة. فنحن نعرف أن علماء الآثار كانوا في البداية من الباحثين عن الكنوز، ثم تحولوا تدريجيًا للقيام باستقصاءات أكثر موضوعية، إذ أصبحت معرفة مستوى الرقي الحضاري لموقع ما الغرض الرئيسي من التنقيب. لقد عاد الاهتمام باللقى الأثرية ليس بوصفها قطعًا للعرض في المتحف، بل باعتبارها وثائق للبحث العلمي يمكن أن تحدد سمات عصر أو درجة تطور حضارة. ومن هذا التوجه، أصبحت قطعة فخار بسيطة أو لوح عليه نقوش أكثر أهمية من جواهر ثمينة. لقد تحول الآثاريون إلى

(٨) انظر، محمد عوض محمد، فن الترجمة، ص ٨، وانظر، د. يحيى وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية، ص ١٢٩-١٣٥.

باحثين عن كنوز، لكن من نوع جديد.

لقد شهدت سورية آثارًا مهمة من عصور مختلفة: كنعانية وآرامية وهيلينية ورومانية وبيزنطية وإسلامية وفرنجية. وتبرز مدن قديمة مثل إيبلا وماري وأوغاريت باعتبارها من أهم المدن والمحطات الأساسية في تاريخها الطويل، التي احتوت مكتبات كانت مزدهرة نَمَّتْ على مختلِف اهتمامات سكانها. لقد اكتُشفت مكتبة ماري في تل الحريري، ووُجدت فيها مجموعة ضخمة من ألواح الطين يعود تاريخها إلى عام ٢٠٠٠ق.م وبلغ مجموع رُقمها ٢٠٠٠٠ رقيم كُتبت بالخط المسماري الأكّدي — البابلي. وفيما يخص مكتبة إيبلا، التي اكتُشفت في تشرين الأول عام ١٩٧٥، فقد عُثر فيها على ١٥٠٠٠ رقيم مسماري، وقد رُتبت على رفوف خشبية بصورة دقيقة وصُنّفت وفق مواضيعها. وتبين أن هذه المكتبة تعرضت للحرق والهدم بفعل نارام سين الملك الأكدي عام ٢٢٥٠ق.م. أما محتوياتها فقد اشتملت على عدد كبير من النصوص المعجمية، وعدد أقل من النصوص الأدبية والأسطورية، إلى جانب نصوص إدارية وقضائية. كما وُجدت نصوص تُعنى بالأمور المالية والاقتصادية وتسجيل الحسابات، وهناك عدد محدود من النصوص الشرعية والسياسية. أما لغة هذه النصوص فكانت لغة أصلية تتميز عن كل اللغات القديمة وإن كانت قريبة من اللغة الأكدية[٩].

لقد سحرت الكتابة المسمارية الآثاريين والمفكرين والموسوعيين ومؤرِّخي المدن القديمة، التي أتاح التنقيب فيها الكشف عن وثائق مكتوبة على شكل رُقم آجرية مُغطاة بالرموز المسمارية. وكان على علم الآثار باعتباره علمًا مساعدًا لعلم التاريخ، أن

(٩) انظر، د. نجيب غزاوي، ((المكتبات عبر التاريخ))، مجلة جامعة تشرين، ص ٢١.

يسعى بوجهٍ خاص لإظهار أحداث الماضي وثقافاته ومعتقداته. وحين يفتقر علم الآثار إلى الوثائق المكتوبة، فإنه يضطر إلى انتزاع المعلومات من الآثار المكتشفة والأشياء المتوفرة، مستعملاً الاستدلال والتفسير بأنواعهما. وعوضًا عن الطريق الملتوية التي تسلكها التأويلات التي تجري انطلاقًا من مواد حقيقية بكماء، فإن العالم يمتلك الآن طريقًا مختصرة مفيدة تسمح له بأن يحقِّق الاتصال مع الحضارات الغابرة. فبفضل علم اللغويات الآثاري، تُقرأ النصوص، وأصبح الماضي نفسه يتحدث إلينا مباشرة. وبفضل بعض النصوص التي يعود تاريخها إلى القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد، أصبح بإمكاننا أن ندرس، على سبيل المثال، الحضارة الأوغاريتية، ونقصد بذلك الحياة الفكرية والتعليم في أوغاريت.

إن كل ما نعرفه عن أوغاريت جاء من المكتبات المكتشفة فيها. فقد اكتُشفت في القصر الملكي خمسة مستودعات محفوظات. واحتوى القصر الجنوبي على مستودع. أما في الحي السكني فقد وُجدت مكتبة ومستودعات للمحفوظات فيه. وكذلك الأمر في حي المعابد والخندق الجنوبي. واكتُشفت مكتبات في الخندق الواقع جنوبي الهيكل. وتجدر الإشارة هنا إلى عالِم يُدعى «ربانو» وُجدت في بيته مكتبة تضمُّ عددًا كبيًّار من الرُقم، كما نشير إلى شخص آخر، لم يُعرف اسمه، تُظهر المكتبة التي اكتشفت في بيته أنه كان عالمًا ولغويًّا ضليعًا(١٠).

لقد احتوت مكتبات أوغاريت نصوصًا أسطورية ودينية وأدبية ومدرسية ودبلوماسية واقتصادية وإدارية، تكوِّن عناصر أساسية في الإرث الذي خلّفته لنا

(١٠) المرجع السابق، ص٢٠.

الحضارة الكنعانية[١١]. ما يهمنا هنا هو الاتصالات مع حضارات الجوار ووجود اللغات الأجنبية في أوغاريت، فإضافةً إلى الألفباء الأوغاريتية أمكن تمييز عدة أشكال من الكتابة في النصوص المكتشفة في رأس شمرا. واستُعملت هذه الأشكال للتعبير عن سبع لغات هي: الأوغاريتية والحورية والسومرية والأكدية والقبرصية والمصرية والحثية. لقد منح هذا التنوع أوغاريت السبق في العالمية اللغوية. وتُفسر هذه العالمية اللغوية التركيبة البشرية لسكان أوغاريت، والعلاقات السياسية والاقتصادية التي أقامتها مملكة أوغاريت مع البلدان المجاورة.

فإلى جانب الكنعانيين الذين كانوا الغالبية، اشتملت البنية السكانية على عدد لا بأس به من الحوريين، ذلك الشعب القادم من شمال شرق سورية والذي كان يتكلم اللغة الحورية ويكتب بها. أضف إلى ذلك العنصر القبرصي الذي تأكَّد توضعه في أوغاريت (ومرفئها) من خلال النصوص واللقى الأثرية. ولا تسمح قلة الوثائق المكتوبة بمعرفة الأهمية العددية لهذا العنصر، كما أنها لا تخوِّل تُخَوِّلنا أن نَعْلم: أكانت إقامته في أوغاريت دائمة أم مؤقتة. لذا يمكننا القول: إن سكان أوغاريت كانوا في غالبيتهم كنعانيين إضافة إلى عدد لا بأس به من الحوريين وعدد غير محدَّد من القبارصة.

ويمكن الحديث عن وجود مصري ما. فقد ظهر هذا الوجود من خلال العديد من الكتابات والكمية الكبيرة من التحف الفنية التي اكتُشفت. تُعلمنا هذه الوثائق

(١١) إنني مدين بالمعلومات التالية عن أوغاريت لمحاضرة جبرائيل سعادة التي أُلقيت في ذكرى بيتر كريجي بشيفيلد — كندا عام ١٩٨٨، بعنوان «الحياة الفكرية والتعليم في أوغاريت»، وقد حصلت على نسخة منها بمساعدة د. نجيب غزاوي الذي قام مشكورًا بترجمتها إلى العربية. ولمزيد من التفاصيل يمكن الاطلاع على ما كتبه جبرائيل سعادة تحت عنوان (أوغاريت حاضرة كنعانية) [بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٧٩، ص٢١-٢٢].

المختلفة أن ممثِّلاً للبلاط الفرعوني قد أقام في أوغاريت في منزل ضخم يقع بالقرب من القصر الملكي، وكان يمارس في الوقت نفسه نشاطًا تجاريًّا فعالاً. ويظهر أنه أقام في أوغاريت مصريون مكلَّفون بمهمات مؤقتة أو دائمة وكذلك أناس عاديون. وتتحدث نصوص أوغاريت عن طبيب مصري دعاه العاهل الأوغاريتي، وعن مصري يتلقى منزلاً من الملك أو يشتريه منه، وعن مصريين يعملون بالزيت والخمر اللذين تنتجهما أوغاريت. وتُعْلِمنا أيضًا أن أميرة من وادي النيل قد تزوجت ملكًا من الحاضرة الكنعانية. ومن جهة أخرى، تُظهر اللقى الأثرية أن الفن الأوغاريتي قد استعمل غالبًا موضوعات وأشكالاً مستعارة من الفن المصري.

ونظرًا للدور المهيمن الذي كانت تقوم به المملكة الحثية في مقدرات أوغاريت، في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد، فإن علينا أن نتوقع وجود آثار أناضولية كثيرة في حاضرة الساحل السوري. لكن التأثير الحثي لم يحظ بالأهمية التي حظي بها التأثيران المصري والقبرصي. كما كان التأثير الثقافي الحثي أقل بالمقارنة بتأثير بلاد ما بين النهرين. أما التأثير الكتابي فقد كان محدودًا جدًّا. فالكتابة الهيروغليفية الحثية لا تظهر إلا في الأختام الموضوعة على الرُقم الأكدية الصادرة عن البلاط الحثي أو عن تابعيه وحلفائه. أما الكتابة الحثية المسمارية الكلاسيكية[١٢]، فهي معروفة في رأس شمرا، حتى الآن، من خلال رقيمين يعتقد المختصون أنهما من مصدر خارجي. ولا يتوفر ما يسمح بالاعتقاد بوجود جالية حثية في أوغاريت، باستثناء الرُسل أو التجار الذين يمرون بأوغاريت من وقت إلى آخر. ومع ذلك، يمكن ذكر الحثي المدعو «باتيلو» الذي حفظ اسمه على خاتم اكتشف في منزل في رأس شمرا، فربما كان ممثلاً للمملكة الحثية.

(١٢) كلاسيكي وكلاسيكية: يُقصد بهاتين الكلمتين النصوص التقليدية القديمة.

ظلت اللغة السومرية أكثر من ألف عام، أي بين٣٥٠٠ و٢٥٠٠ق.م تقريبًا، اللغة المكتوبة الوحيدة في بلاد ما بين النهرين. وقد بقيت مدةً طويلة بعد ذلك لغة للرهبان والعلماء في آسيا الغربية. أما في أوغاريت، فقد كانت السومرية لغة ميتة. ونجدها في الوثائق التي تحتوي قوائم مفردات، وفي النصوص الأدبية والسحرية. فقد ولدت الكتابة الأكدية المسمارية المقطعية في بلاد ما بين النهرين قُرابة منتصف الألف الثالث قبل الميلاد. وانتشرت هذه الكتابة في المنطقة العربية كلها باعتبارها لغة الدبلوماسية التي استُعملت في المراسلات الدولية. وقد أدت اللغة الأكدية في أوغاريت وظيفة مضاعفة. فقد كانت، مثل اللغة السومرية، لغة العلماء التي نجدها في النصوص المفرداتية والأدبية والسحرية، وفي النصوص القانونية أيضًا. ومن ناحية أخرى، استُعملت هذه اللغة في المراسلات وفي نصوص أخرى ذات طابع رسمي كانت مملكة أوغاريت تتبادلها مع العالم الخارجي.

وممّا نعرفه عن تاريخ أوغاريت وحياتها الاقتصادية، يظهر أنها أقامت علاقات وثيقة بالمملكة الحثية ومصر وقبرص. فقد احتوت محفوظات رأس شمرا مراسلات غزيرة مع تلك المناطق، على شكل صكوك رسمية ذات طابع دولي، وتتطرق إلى مسائل سياسية واقتصادية أو عسكرية أو قانونية. وكُتبت هذه الوثائق كلها باللغة الأكدية التي كانت تستعملها أوغاريت في علاقاتها بالبلدان الأجنبية. إذن من حيث المبدأ، لم تكن معرفة لغات هذه البلدان ضرورية للمترجمين والكُتّاب الأوغاريتيين. بيد أن ذلك لا يعني أنهم كانوا يجهلون هذه اللغات جهلاً كاملاً.

فيما يخص اللغة الهيروغليفية المصرية، يمكننا القول إن بعض الكُتّاب المحليين قد وجدوا متعة في تعلمها. لقد بهرتهم هذه الكتابة الجميلة الراقية فسعوا، بالتأكيد، إلى

قراءة الكتابات الموجودة على الهدايا والتقدمات التي كانت تصل إلى أوغاريت، وخصوصًا أن التقدمات تُعرض في المعابد. ومن المهم أن نذكر أنه من بين الكتابات المصرية المكتشفة في رأس شمرا، كانت هناك كتابات لم يسطرها كتّاب وادي النيل. وهذا هو حال الكتابة الموجودة على القاعدة الصغيرة المكتشفة في القصر الجنوبي، إذ يبدو أن كاتبها أوغاريتي تعلّم الحروف الهيروغليفية. ويمكننا أن نقول الشيء نفسه عن الكتابة الموجودة على النصب المقدم من المدعو «ميامي» إلى معبد بعل، وكذلك عن نقش الفرعون ميدنبتا الموجود على سيف مصنوع في أوغاريت نفسها. لكن من غير المستبعد أن بعضهم قد رغب في تعلم لغة دولة كانت تمارس آنذاك نوعًا من السيادة على بلدهم. لكننا سنرى فيما بعد أن كُتّابًا أوغاريتيين اهتموا بنص أدبي حثي مستورد.

وفيما يخصّ قبرص، فإن القضية تظهر بصورة مختلفة تمامًا، إذ لم تكن قضية تبادل مراسلات بين دولة وأخرى. فقد اكتُشفت عدة نماذج من هذه المراسلات باللغة الأكدية في رأس شمرا. ويتعلق الأمر هنا بلغة محكية في أوغاريت ولو على نطاق ضيق، من قبل تجار قبارصة مقيمين. لم تقدِّم عمليات التنقيب الأثري أية وثيقة ذات طابع مدرسي أو مفرداتي تبين أنه كانت لدى الكتّاب المحليين الرغبة في تعلم هذه الكتابة، كما كان الحال مع اللغات الأجنبية الأخرى. ومع ذلك، اكتُشفت الرُّقم وأجزاء الرُّقم المكتوبة باللغة القبرصية في مستودعات النصوص (محفوظات القصر الجنوبي، مكتبة الأدب، محفوظات ربانو) أي في الأماكن التي يرتادها الكُتَّاب الأوغاريتيون كثيرًا. ونذكر أن الرقيم الذي وُجد في منزل ربانو هو الأكثر كمالاً، وقد كتبته يد مترددة لا تعرف جيدًا الكتابة القبرصية، إذ يبدو أن كاتبًا كنعانيًا قام بذلك.

من الجهة الأخرى، نحن نعرف أنه قد اكتشفت في موقع «هالا سلطان تيكي» في قبرص، كأس من الفضة تحمل كتابة أوغاريتية، وقد يكون بإمكاننا أن نستنتج أنها خطت بيد كاتب من الجزيرة استعمل النظام المسماري الألفبائي، بتأثير كُتّاب الساحل المجاور. وربما استطاعت اكتشافات ناتجة عن تنقيبات لاحقة في رأس شمرا أو قبرص أن تقدِّم لنا معلومات أكثر عن إمكان التعاون بين كُتّاب كنعانيين وآخرين قبارصة. لقد تعامل مترجمو أوغاريت وكُتّابها، الذين كانوا على صلة غير ثابتة باللغات المصرية والحثية والقبرصية، مع أربع لغات: اثنتين مستعملين في أوغاريت: الأوغاريتية أو الحورية، ولغة علم أي السومرية، ولغة علم هي في الوقت نفسه لغة دولية، أي الأكدية. وتُظهر لنا المكتشفات الكتابية بوضوح الجهد الذي كان يبذله الكتّاب لتحسين مستواهم في هذه اللغات وتعليمها لتلاميذهم.

ويظهر هذا الجهد في نوع معين من الوثائق التي يمكن أن تُعد وسائل عمل. لقد كان ذلك حال كتب الألفباء التي ذُكرت فيما سبق، وخصوصًا الكتب التي اشتملت على جدول شامل أوغاريتي أكدي. وكذلك كان حال رُقم المفردات المتعددة اللغات، التي اكتُشف العديد من نماذجها وأنواعها المختلفة في رأس شمرا. لقد كانت هذه الرُّقم بمثابة معاجم حقيقية وُضعت تحت تصرف الكُتّاب الذين كانوا يعملون على لغات مختلفة. ففي هذه المعاجم، الثنائية أو الثلاثية أو الرباعية اللغة، كانت الألفاظ السومرية أو الأكدية أو كلتاهما معًا، تترافق مع ترجماتها أو مرادفاتها في الأوغاريتية أو الحورية أو في إحدى هاتين اللغتين فقط.

لقد كانت اللغة الحورية، كما عرفناها قبل اكتشافات رأس شمرا مكتوبة بالمسمارية المقطعية. وعلى جانب الرقم الحورية التي كُتبت وفق هذا النظام،

اكتُشفت في أوغاريت رُقم اعتمدت النظام المسماري الألفبائي. وهناك سؤال: تُرى، هل أراد كُتّاب كنعانيون تطبيق هذا النوع من الكتابة على اللغة الحورية، أم استعارها كتّاب حوريون من زملائهم المحليين؟ غير أننا نلاحظ، أن الرُقم المكتوبة وفق النظام الألفبائي، هي في الغالب، نصوص دينية أو طقسية. ونجد فيها عمومًا، صلوات وأناشيد خاصة بالعقيدة الحورية، وكذلك لوائح إلهية تذكر الآلهة الحورية. ونجد أيضًا، أن بعض الرُقم تحتوي على نص حوري مكتوب بالألفباء، وفي الوقت نفسه نجد مقاطع باللغة الأوغاريتية الألفبائية. يبدو من ذلك أن الكتّاب ذوي الأصل الحوري كانوا يعرفون جيدًا اللغة الأوغاريتية.

على أية حال، يظهر بصورة واضحة أن كُتّاب أوغاريت استعملوا بسهولة كبيرة اللغات والكتابات الأجنبية، وخصوصًا اللغة الأكدية. وهكذا، فقد وجدت أربعة نصوص دينية باللغة الأكدية، غير أنها مكتوبة وفق النظام الألفبائي المحلي. ومن المناسب أن نشير أيضًا إلى الوثائق العديدة المكتوبة باللغة الأوغاريتية حيث تظهر كلمات وأعداد أو مفردات باللغة الأكدية، ربما لكونها لغة عالمية أو لشيء يستدعي الدراسة.

نفهم من ذلك أن كتّاب أوغاريت كانوا مترجمين ممتازين. وكما هي الحال في أيامنا هذه، حيث نلجأ بغية التدريب على الترجمة إلى مقتطفات من الأدب الكلاسيكي، فقد كان كتّاب من أوغاريت يمتحنون معرفتهم من خلال ترجمة الأعمال الأدبية في ذلك الزمان، أي الأدب البابلي، وقد سمح لنا هذا الأمر باكتشاف روائع مقتطفة من آداب بلاد ما بين النهرين، بين آثار رأس شمرا.

ومن ناحية أخرى، تقدم لنا المحفوظات الرسمية أمثلة عديدة على الترجمة. فقد قدمت التنقيبات ترجمتين، الأولى أكدية والثانية أوغاريتية، لبعض الوثائق الدبلوماسية،

كما نجد فيها رسائل موجهة إلى الخارج، وقد كُتبت، مع ذلك، باللغة المحلية. وما من شك أننا هنا بصدد نسخ أصلية أو مُسَوَّدات باللغة المسمارية الألفبائية وفقرات أُرسلت باللغة الأكدية. وبالمقابل، تحتوي المحفوظات رسائل من مصدر أجنبي كتب باللغة الأوغاريتية. نحن هنا، بالتأكيد، أمام ترجمات لوثائق جاءت من الخارج، رغبت الإدارة الملكية أن تحتفظ بنسخة منها مكتوبة باللغة المحلية.

ما زالت الرُّقم المكتشفة بحاجة إلى عمل طويل ودؤوب يسمح بتجميع المزيد من المعلومات لتكوين صورة كافية عن ثقافة أوغاريت. أشرنا سابقًا إلى وجود علماء في أوغاريت، فنحن نعرف اثنين على الأقل: الأول «ربانو» الشهير ذو الثقافة الواسعة، كما يُثبت ذلك العديد من الوثائق المكتوبة والمحفوظات في مكتبته وفي محفوظاته. أما الشخص الثاني فغير معروف لدينا، وقد سُمي لذلك (بالأديب أو المثقف) وتظهر مكتبته أنه كان ضليعًا في مختلف الكتابات التي كانت مستعملة، كما عُثر لديه على وثيقة هامة عن فن الكتابة.

وتقدِّم الوثائق دلالات واضحة على المستوى الفكري في أوغاريت. ترتبط معظم الوثائق بالإدارة أو بالنشاط الاقتصادي للمدينة ومملكتها. غير أن بعضها يشكِّل مفكرات أو استمارات مشابهة لتلك التي يحتفظ بها العلماء في أيامنا. لقد رغب علماء أوغاريت في الاحتفاظ في متناول أيديهم برُقم تقدم لهم المعلومات التي يمكن أن يحتاجوا إليها، وذلك على نحوٍ فوري. ويمكن ذكر وثيقة مهمة تشتمل على نحو خمسمئة سطر موزعة على ثمانية أعمدة، وهي موسوعة لأسماء الأسماك والطيور والمنسوجات والأقمشة والثياب باللغة السومرية. واحتوت رُقم أخرى على جداول لوحدات الوزن والسعة والسطوح المستعملة في المملكة.

وهناك أيضًا عدة لوائح لآلهة أوغاريت، تُرجمت إحداها إلى اللغة

الأكدية، كما أن هناك لائحة بالآلهة الحورية. وهناك ما هو أفضل، ففي وثيقة متعددة اللغات، تذكر أسماء الآلهة، نجد أمام كل إلاهة سومرية الإلاهة الأوغاريتية والإلاهة الحورية المقابلة. نحن إذن أمام جدول ديانة مقارنة يعود إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة. ويمكن الإشارة إلى اكتشاف بعض النصوص الطبية في رأس شمرا، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن الطب كان يرتبط على نحو وثيق بالسحر. تذكر النصوص وصفات طبية وعقاقير مع كيفية استعمالها وأمراض وأدوية وتؤكد وجود أطباء. ولا تُبين نصوص التنجيم بصورة واضحة المعارف الكونية للأوغاريتيين، ومع ذلك تتحدث كتابة منقوشة عن كسوف الشمس. وتؤكد بعض الرقم الحورية الأهمية التي تحتلها الموسيقا في الاحتفالات الدينية والآلات المستعملة. وتشير التحف الفنية المكتشفة في رأس شمرا، وكذلك فن العمارة فيها إلى المستوى الثقافي المتطور لأوغاريت. ويتبدى المستوى المتقدم لحضارة أوغاريت من خلال الوثائق الإدارية التي تحتوي إحصاءات ملكية، ومساحة، وقوائم لأسماء الأماكن، والتي هي في الغالب جداول الجغرافية الإدارية للمملكة. فقد وجدت لصيقات لختم رباط الكيس الذي يحتوي الرقم. وكانت الكتابة على هذه اللصيقات في الغالب تلخيصًا لنص الرُقم، أو تمثل الكلمات الأولى فيه حين يتعلق الأمر بنص إداري يستحيل تلخيصه، كما نجد على اللصيقة أحيانًا عنوان المرسل إليه.

تتمثل معتقدات الأوغاريتيين الدينية في الأساطير والخرافات، التي كان لاكتشافها صدى كبير، وكُتب عنها الكثير. فمن المعروف أن الشعوب تقوم عادة بتداول النصوص التي تحتوي معتقداتها من خلال التقاليد الشِّفاهيَّة. ولا تشرع في تثبيتها بالكتابة إلا بعد أن تبلغ درجة معينة من الرسوخ أو النضج

الفكري. ويُعتقد أن الشكل الذي وصلتنا عليه القصائد التي تحتوي ذلك، يعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، أي إلى الحقبة التي وُجدت فيها الكتابة المسمارية الألفبائية المحلية، وتُشير الرقم، لمرات عدة، إلى أن كاتبها هو إيلميليكو، تلميذ الراهب الكبير، بأمر(أو في عهد) الملك الذي حكم بين ١٣٧٠-١٣٤٠ (١٣٣٥ق.م) تقريبًا، غير أنه علينا أن نعيد تأليفها إلى زمن أقدم لأسباب مختلفة، لغوية وغيرها. ويمكننا القول إن نصوص القصائد الجميلة وأسلوبها الخاص تمثل أحد مظاهر الأدب الكنعاني في أوغاريت.

لقد اكتُشفت نصوص أدبية في المنطقة الوسطى من رأس شمرا. والحق أن معظم هذه النصوص هي نسخ سورية لنصوص أصلية من بلاد ما بين النهرين، أو على الأقل، مستوحاة من بلاد ما بين النهرين. من جهة أخرى، من الممكن أن تكون هذه النصوص قد استُعملت في التعليم وفي أعمال الترجمة في المقام الأول، كما ذكرنا سابقًا. بيد أن هناك واقعة ثابتة وهي أن أوغاريت كانت تعرف الأعمال الكلاسيكية في ذلك العصر وتهتم بها، وهذا يمثّل دليلاً هامًا على مستواها الفكري. ويمكن أن نعرض بسرعة للنصوص الأدبية التي اكتُشفت حتى يومنا هذا.

نذكر أولاً جزءًا من الطوفان، وبعض الأجزاء التي تبدو أنها على صلة ما بملحمة جيلجامش. ونذكر أيضًا قصيدة جميلة تحمل العنوان التالي «العادل المتألم» ونجد نسخة بابلية عنها أكثر قدمًا منها، وتختلف عنها بعض الاختلاف. وهناك أيضًا مجموعة نصائح يقدِّمها أب لابنه، وقد كُشف عنها في بوغازكوي، عاصمة الحثيين. وهذه النسخة أيضًا تعود إلى تقاليد بلاد ما بين النهرين. إضافة إلى ذلك، هناك رُقم كُتبت باللغات السومرية والأكدية والحثية ويحتوي أحدُها على قصيدة طويلة، يقدم شخص فيها، وصفًا شعريًّا

لأمه. ومع أن النسخة الأصلية السومرية قد أُلفت قُرابة ١٧٠٠ق.م، يبدو أن هذا الرقيم قد كتبه كاتب من العاصمة الحثية، ثم نُقل إلى أوغاريت كي يُنسخ ويُعدل من قبل الكتّاب المحليين. ونذكر أخيرًا نصًّا يُظهر الشخصية الأوغاريتية أكثر من غيره، ذلك لأنه لم يُكتشف نص معادل له في الأدب البابلي. إنه مجموعة حكم على ثلاث نسخ. ويبدو أن هذه النسخ قد كُتبت من قبل ثلاثة تلاميذ في درس للإنشاء الأدبي في أوغاريت. وقد طُلب إلى هؤلاء التلاميذ أن يُعالجوا الشرط الإنساني انطلاقًا من أقوال وحكم معروفة. ويُعبّر هذا النص عن تشاؤم نابع من البؤس الأصيل للإنسان، الغارق في ليل العالم الذي لا يستطيع أن يسبر أغواره والذي لا يعرف منه سوى الآلام. ويمكن إيراد جزء من هذا النص:

لأن السماء بعيدة، فإن اليد لا تمسها،
ولأن الأرض عميقة، فإن أحدًا لا يعرفها،
إن الحياة بلا نور ليست أفضل من الموت،
في مقابل يوم سعادة واحد، هناك أيام من الدموع،
وتمر السنة، ويمر معها ستة وثلاثون ألف ألم،
لا يعرف البشر ما يفعلون،
إن معنى أيامهم ولياليهم موجود لدى الآلهة.

أما الحيثيون، فهم شعب أجنبي استوطن الأناضول منذ الأزمنة القديمة وامتدت سيطرته إلى شمال سورية حيث تقطن شعوب ساميّة وحورية، واتخذ الحثييون مدينة (حتوشا) عاصمة لهم، وكان الحثيون يسمونها (حتوساس)، وتقع

بالقرب من بوغازكوي (بوغازكول) الحالية[١٣]. وقد ظهر اسم الحثيين منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وكان ملكهم (بامبا) خصمًا لملك أكاد نارام سين (نحو ٢٣٠٠ق.م). وقُرابة العام ١٩٠٠ق.م أقام بعض المستوطنين من التجار الآشوريين في القرى المجاورة لنهر هاليس ودوّنوا لوحات كبدوقية الشهيرة. وفيما بين العامين (١٦١٩ و ١٥٢٦ق.م)، فتح الملك الحثي مرشلش الأول حلب، وقام بعدة غزوات لِبابل، وبلغ التوسع الحثّي أوجَهُ أيام الملك سوبيلو ليوما (١٣٨٢-١٣٤١ق.م) الذي احتل شمال سورية. ثم قام نزاع بين ملوك الحثيين والفراعنة، ولكنه انتهى عام ١٢٧١ق.م باقتسام سورية، وقُرابة العام ١٣٠ق.م تمكنت آشور من انتزاع ميتنى من سيطرة الحثيين.

وتختلف الحضارة الحثية عن حضارة وادي الرافدين، ويظهر ذلك في الديانة والأساطير، وتتجلى في الصور البدائية للديانة والأفكار الخاصة بعبادة الأرواح، وتقديس الينابيع والأشجار والجبال، وكان إله العاصفة (تيشوب) أشهر الآلهة، ويمثَّل عادة بشكل رجل يقف على ثور ويمسك الصاعقة، ثم اقتبس الحثيون آلهة أجنبية عندما احتكوا بالسومريين والمصريين والآشوريين، أما قوانينهم فكانت مستقلة عن قانون البابليين، واكتُشف جزء منها يعود إلى القرن الرابع عشر ق.م. وتتصل لغة الحثيين بمجموعة من اللغات الهندية الأوربية، كما تتمثَّل عدة لغات في كتاباتهم.

وفي عام ١٨١٢م اكتُشف في مدينة حماة بسورية حجر فيه كتابة

(١٣) انظر، د. يحيى وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية، ص ١٣٠-١٣١، ويستند د. الجبوري في تلخيص هذه المعلومات إلى معجم الحضارات السامية والموسوعة العربية الميسرة.

هيروغليفية، وبعد خمسين عامًا عثر على أحجار فيها نقوش مماثلة للحجر الأول، وشُوهد حجر آخر مماثل في جدار مسجد حلب، كما عُثر على أجزاء من هذه الكتابة الهيروغليفية على صخرة ضخمة منقوشة في (إيفريز) في جبال طوروس بالأناضول، وفي غيرها من الأماكن في تركيا. وقد أُجريت حفريات في مدينة (بوغاز كوي) عام ١٩٠٦م وعثر علماء الآثار الألمان على نحو عشرة آلاف من الألواح المنقوشة، وكان معظمها مكتوبًا باللغة الحثية (وهي الكتابة المسمارية المعشقة)، وقد تمكَّن العلماء من فك رموز هذه الألواح التي تدل على مظاهر مختلفة من حضارة الحثيين(١٤).

على أية حال، إن استعمال اللغة الأكدية إنما يدل على المكانة المحترمة التي تبوأتها هذه اللغة بوصفها لغة مقبولة للتفاهم والدبلوماسية بين أهم دول العالم القديم. وقد يفيد أن نذكر أن الأكدية هي لغة الأكديين الذين قطنوا أواسط العراق قبل عام ٢٠٠٠ق.م وقد استُعملت في العراق من القرن الثامن والعشرين تقريبًا إلى القرن الأول قبل الميلاد. وقد تم استخدام «الأكدية» بدلاً من «الأكادية» (فهذه على الأرجح لفظة أوربية، فهي في الإنكليزية Akkadian أو Accadian نسبة إلى آكاد في بابل القديمة)، كما استعملها الدكتور عمر فروخ الذي يرى أنها لغة دولة عربية قديمة نشأت في جنوب العراق، وأنه يجب تسمية هذه الدولة «العقدية» بالعين والقاف، وهي التي أقامتها قبائل العقديين القادمين من اليمن، كما أن استعمال آكاد بدلاً من أكد (بالهمزة أو بالعين) يعود إلى أن هذه الكلمة العربية كانت تُكتب بالخط المسماري أو الإسفيني الذي كُتبت به اللغة السومرية

(١٤) المرجع السابق، ص ١٣١، وانظر، أسعد حكيم، علم الترجمة، ص٢٦.

واللغة الآشورية، وقد غابت منها العين. ومن دون شك أن هذه المسألة، كما يؤكِّد أيضًا الدكتور فروخ، ما زالت بحاجة إلى مزيد من البحث والتدقيق(١٥).

لقد كان لاستعمال اللغة الأكدية أثره في تطور فكرة الترجمة. وقد كان من الضروري أن يسعى كل بلاط أو ديوان لتوفير عدد من المترجمين الأكفَّياء الملمين قراءة وكتابة بهذه اللغة الدولية، والأرجح أن هؤلاء كانوا منقطعين لعملهم هذا، وكانت وسائل عيشهم متوفرة، إذ كان واجبهم أن يُترجموا إلى لغة البلاد، تلك المراسلات الدولية الخطيرة. وهذا ما كان يحدث منذ نحو ٣٥ قرنًا(١٦). والحق، أن المضي زمنيًّا إلى أبعد من ذلك العهد يصبح من مهام البحث اللغوي والتاريخي المتخصص. لكن يجدر بنا أن نذكر أن فكرة اللغة الدولية، وفكرة النقل من لغة إلى لغة، ووجود مهنة المترجم، هي عمليات قديمة جدًا، ولم تلبث أن صُقلت على مر الزمن، فأصبحت من العوامل الحيوية في تطور الثقافات في المجتمعات الحديثة.

وربما كانت قصة فك رموز الخط المسماري واللغة الأكدية مفيدة في معرفة اهتمام العالم القديم باللغات والترجمة، فقد ساعد على حل رموزها لوح يُشير إلى أخبار «دارا» كُتب باللغة الفارسية والعيلامية والبابلية، عكف على دراسته المستشرق الألماني غروتفند Grotefend، عام ١٨٠٣م، فبدأ بالفارسية وهي أقل الكتابات الثلاثة تعقيدًا فاستطاع أن يقرأ بعض الأسماء في

(١٥) انظر، د. عمر فروخ، عبقرية اللغة العربية (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨١)، ص٢٨١-٢٨٢.

(١٦) انظر، عوض محمد عوض، فن الترجمة، ص٩.

النص، كما استطاع المستشرق الإنكليزي رولنسون Rawlinson (القنصل البريطاني في بغداد) بعده أن يتوصل إلى حل بعض رموز البابلية بالاستعانة ببعض الرموز الفارسية، حتى تمكَّن من فك رموز لوحة (بهستون Behistun) التي دوَّن فيها دارا الأول ٥٣١-٤٨١ق.م أعماله وفتوحاته باللغات الثلاث نفسها. وتابع الإيرلندي هجنر اهتمامه بهذا العمل، وتوالى اهتمام المتخصصين باللغويات الآثارية به، حتى غدا من الممكن في عام ١٨٥٧م الإلمام بالكثير من هذه الرموز، وأصبحنا نستطيع الآن أن نقرأ ما اكتشفناه من لوحات مسمارية(١٧). وقد اكتُشفت ألوف اللوحات في مواقع كثيرة في العراق وسورية، مثل الألواح المكتشفة في مملكة إيبلا، وأُرسلت إلى مراكز أوربية متخصصة لترجمتها. ومما يلفت الانتباه هنا هو أنه غالبًا ما يتم ترجمة تلك الألواح والرقم إلى اللغات الأوربية المحلية؛ فتخرج النصوص باللفظ الأوربي مثل (إشتار وبل وبانيبال وغيرها)، وهذا الأمر يجب أن يسترعي اهتمام المتخصصين بالدراسات «الشرقية» واللغات القديمة للعرب، إذ يجب عليهم أن يُترجموا تلك الألواح إلى العربية نظرًا للأصول المشتركة وعلاقات القربى بينها وبين اللغات القديمة في المنطقة العربية(١٨).

وفي بداية الألف الثاني قبل الميلاد أخذت الآرامية بالانتشار في منطقة شمال غرب ما بين النهرين، واستطاعت بعد سبي بابل أن تسود على اللغتين البابلية والآشورية، كما أنها استطاعت أن تصبح اللغة الرسمية بعد سقوط

(١٧) انظر، د. محمد عوني عبد الرؤوف، «الترجمة عند الساميين والعرب»، ص٩٠.

(١٨) انظر، محمد نجيب البهبيتي، مقدمة كتابه «المعلقة العربية الأولى: عند جذور التاريخ، القسم الأول»، (الدار البيضاء – المغرب: دار الثقافة، ١٩٨١)، ص ٩ وما يليها.

نينوى عام ٦١٢ق.م، نظرًا لانتشار الآراميين في بلاد آشور.

كانت العقود تُكتب عمومًا باللغتين البابلية والآرامية. ولما غزا الفرس بابل عام ٥٣٨ق.م، وجدوا اللغة الآرامية منتشرة في منطقة الشرق كلّه حتى بين طبقة الحكام، فاستعملوها لغة للتفاهم بين أجزاء الإمبراطورية حتى غدت لغة المكاتبات الرسمية. وظلت الآرامية تفرض نفسها على سائر اللغات طوال مدة النزاع بين الفرس والرومان، وسادت اللهجات الكنعانية والأكدية وكُتبت بها آلاف الوثائق. فهي لم تكن لغة الإمبراطورية الفارسية الرسمية فحسب، بل لغة دولية استعملها الفرس في دواوينهم وكُتبت بها برديات عُثر عليها في مصر، كما كُتب بها التلمود البابلي وأيضًا بعض أسفار التوراة والإنجيل. واستمرت سيطرة اللغة الآرامية على المنطقة، بل امتدت وراء حدود أرض الرافدين وحدود سورية وفلسطين، إذ وجدت نقوش آرامية في أماكن مختلفة من آسيا الصغرى مثل كيليكيا وليديا Lydia وليكيا Lycia، وكذلك في فارس وشبه الجزيرة العربية. ولا يفوتنا أن نذكر أن الآرامية كانت لغة مملكة تدمر،إلى جانب اليونانية،في مختلف مراحلها.أما في مصر فنجد جالية يهودية عاشت في جزيرة «فيلة» Elephantine (وهي جزيرة في النيل في مواجهة أسوان) حيث عُثر على مجموعة من كُسَار الخزف أو أوراق البردي الآرامية تعود إلى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد[١٩].

لقد ظهر بعض نشاط المترجمين القدامى في الكتاب المقدس، فنجد مثلاً كلمة "meturgam" التي وردت في سفر عزرا (إصحاح ٤ آية ٧): «وفي أيام

(١٩) انظر، محمد عوني عبد الرؤوف، «الترجمة عند الساميين والعرب»، ص ٩١.

أرتحششتا كتب بشلام ومثردات وطبئبل وسائر رفقائهم إلى أرتحششتا ملك فارس» . وكانت الرسالة مكتوبة بالحروف الآرامية ومُترجمة بالآرامية[٢٠]. كما ورد في الكتاب المقدس في فصل إسثر (Esther٨:٩) الرواية التي تقول أن نسَّاخي الملك قد أُمروا بنسخ مرسوم لإرساله إلى كافة حكّام الولايات الفارسية القديمة وحكّام الأقاليم من الهند إلى الحبشة، ويبلغ عددها مئة وسبعةً وعشرين إقليمًا، بحيث يُرسل المرسوم إلى كل إقليم بكتابة ذلك الإقليم، وإلى كل شعب بلغته الخاصة به وإلى اليهود أيضًا بكتابتهم وبلغتهم.

وقد تطور شكل خاص من الترجمة في المجتمع العبري في عهد ناحيم Nehemiah، قُرابة العام ٣٩٧ق.م[٢١]. وجاء في فصل ناحيم (Nehemiah ٨:٨–٧:٧٣b) في الكتاب المقدس أن كافة الناس جُمعوا ليستمعوا إلى قراءة القانون في الساحة أمام بوابة الماء «وقرؤوا من الكتاب ومن شريعة الله مباشرة (أو بمرافقة التفسير)، ثم أُعطوا المعنى بحيث فهم الناس القراءة». وبناءً على ذلك، فإنه يترتب على الناس لِفهم الكتاب الديني، أن يقوم المترجمون (أو المفسِّرون) بشرح المحتويات باللغة الآرامية، وهي اللغة السامية السائدة في شرق البحر الأبيض المتوسط. إن السجل الوحيد الذي يمكن الرجوع إليه في شأن الترجمة الرسمية لبعض أجزاء الكتاب المقدس يتصل بكتاب الكهنوت (Ecclesiasticus) الذي ورد في سفر النبوءة (Apocrypha). كما نعلم مثلاً أن كتاب الحكمة لسيراك Sirack، قد تُرجم إلى الإغريقية في مصر نحو عام

(٢٠) انظر، د. محمد عوني عبد الرؤوف، «الترجمة عند الساميين والعرب»، صحيفة الأندلس، مدرسة الألسن، المعطيات السابقة، ص ٨٨–٨٩.

(٢١) يؤرِّخ له بعض الباحثين في عام ٤٤٥ق.م، انظر، يوحين أ. نيدا، نحو علم للترجمة، ص ٣٨–٣٩.

١٣٠ق.م من قِبل حفيده. وفي الوقت نفسه تقريبًا تُرجم كتاب العهد القديم إلى الإغريقية من قِبل عدد من طلاب العلم الذين كانوا يحاولون سد حاجات الجالية اليهودية التي كانت تتكلم اللغة الإغريقية في مدينة الإسكندرية في مصر، ذلك المركز الفكري التجاري في هذه المنطقة القديمة من شرق المتوسط.

ما لبثت اليونانية أن حلت محل الآرامية، خاصة بعد فتوح الإسكندر المقدوني، وسعي الناس وراء تعلمها والترجمة منها وإليها[٢٢]. فقد انتشرت اللغة اليونانية على نطاق واسع وتداولها الفلاسفة والعلماء خارج نطاق أثينا في القرون الثلاثة قبل الميلاد. ومن آثار انتشارها في منطقة شرق المتوسط ومصر، بروز مراكز ثقافية في الإسكندرية وبعض المدن السورية. وقد قام المترجمون في هذه المراكز بنقل علوم مصر القديمة إلى اللغة اليونانية. ففي القرن الثالث قبل الميلاد حدث أكبر عمل معروف قام به المترجمون في تلك الحقبة إذ قام ٧٢ عالمًا يهوديًا بترجمة «العهد القديم» إلى اليونانية عن العبرية التي عُرف آنذاك من خلالها، ما عدا بعض الفقرات التي وُجدت بالآرامية أصلاً، وهو الكتاب الذي يُعرف باسم البنتاتويش (Pentateuch) (أي كُتب موسى الخمسة فقط) وذلك بتكليف من بطليموس الثاني Ptolemaus II (Philadelphos) (٢٧٥-٢٤٧ق.م) وهو عمل مهم وإن كنا لا نعلم عنه إلا من خلال ما وُجِّه

(٢٢) انظر، محمد عوني عبد الرؤوف، «الترجمة عند الساميين والعرب»، ص ٩١؛ وكتاب، د. عمر شيخ الشباب، التأويل ولغة الترجمة، (بيروت: دار الهجرة، ١٩٨٨)، ص ٦٢-٦٣. للاطلاع على تفاصيل بخصوص عهود الترجمة الرئيسة يمكن النظر في كتاب: سوزان باسنيت ماغوير، دراسات في الترجمة (لندن ونيويورك: دار مثيون، ١٩٨٠) بالإنكليزية.

إليه من نقد بعد عدة قرون من هيرونيموس Hieronymus (٣٤٥-٤٢٠م) في خطاباته المتبادلة مع أوغستين Augustinus (٣٥٤-٤٣٠م)، وخصوصًا لأن هيرونيموس هو الذي ترجم العهد القديم إلى اللاتينية التي تُعرف باسم الفولغاتا Vulgata. وشأن هذه الترجمة شأن عدد من مخطوطات النصوص المترجمة إلى اليونانية في ذلك العهد، التي لا نعرف عنها إلا القليل.

ويبدو أن الترجمة المنظمة أخذت تحظى بالاهتمام كفنٍ راقٍ، وأقبل الناس عليها بوصفها وسيلةً للكسب. ففي روما، نسمع عن ليفيوس أندرونيكوس Livius Andronicus (٢٨٤-٢٠٤ق.م)، الذي قام قرابة عام ٢٤٠ق.م بترجمة «الأوديسا» لهوميروس شعرًا إلى اللغة اللاتينية، كما نقل نيفيوس وإينيوس Naevius and Ennius، عددًا من المسرحيات الإغريقية إلى اللغة اللاتينية. ونجد عند بلوتوس Plautus (٢٥٤/٣- ١٨٤ق.م)، وتيرنس Terence(١٩٠-١٥٩ق.م)، أدبًا مسرحيًّا كوميديًّا يستند إلى الترجمة أو الاقتباس من الإغريقية. وقام كنتليان وشيشرون وهوراس وكاتولوس بيلني بدراسات جادّة لمشكلات الترجمة. ومع ذلك، لم تصل إلينا أية دراسة منهجية ومُصنفة لمبادئ الترجمة من العالم الإغريقي – الروماني. لقد كانوا يُترجمون وحسب، وفي حالات كثيرة كانوا ينقلون الروائع الإغريقية بمقدرة وبصيرة كبيرتين. وقد اهتمت الدولة نفسها بالترجمة أيضًا فنجد مجلس الشيوخ Senat، يدعو في عام ١٤٦ ق.م إلى ترجمة رسالة في الزراعة لعالم قرطاجي يُدعى «ماجو»[٢٣].

ويقوم شيشرون Cicero بترجمة أقوال ديموثينس Demosthenes

(٢٣) انظر، د. محمد عوني عبد الرؤوف، «الترجمة عند الساميين والعرب»، ص٩٢؛ وانظر، يوجين أ. نيدا، نحو علم للترجمة، ص ٣٩.

وأشينس Aschines، ويتحدث عن المشكلة الأساسية التي شغلت المترجمين آنذاك وتشغلهم حتى يومنا هذا وهي مشكلة «الترجمة حرفيًّا أو بِحرّية»[٢٤]. وقد أثارت هذه المسألة فعليًا جدلاً استمر منذ القرن الأول قبل الميلاد وحتى بداية القرن التاسع عشر. ثم ينتهي شيشرون إلى رأي حرص على الأخذ به عند ترجمته، فهو يخبرنا بأنه لم ينقل خطبهم وأقوالهم كما ينقلها أي مترجم عادي، وإنما ترجمها ترجمة شاعر. فهو لم يجد ثمة داعيًا لإحلال كلمة مكان أخرى، وإن كان حافظ على المضمون بوجهٍ عام. إذ إنه يعتقد أن القارئ لا يهتم بأن يُنقل له عدد الكلمات نفسها وإنما أن يُقدم له ما تزنه هذه الكلمات أو تحمله من نقل[٢٥]. لقد اشتُهرت عبارات شيشرون هذه وكثر الاستشهاد بها، بل إن الاهتمام بها مازال حتى يومنا هذا، أي بعد عشرين قرنًا من الزمان ما زالت واضحة الصياغة وما زالت مقنعة لدى الكثيرين. ونجد كذلك إيفاجريوس Evagrius وهو معاصر وصديق لهيرونيموس ومُترجم لسيرة حياة أنطونيوس Antonius Vita يحرص في المقدمة على إيراد رأي يتشابه مع رأي شيشرون فهو يكتب: «إذا كانت الترجمة من لغة إلى أخرى ترجمة لفظ فإنها تُخفي المعنى، ويمكن أن يقع الخطأ بسبب الألفاظ ولا يمكن أن يقع بسبب المعنى»[٢٦]. ثم يؤلِّف هيرونيموس رسالة يهديها للترجمة وتقع في عشرين صفحة ويوجِّهها إلى بماخيوس Pammachius مناقشًا فيها رأي

(٢٤) انظر الإشارة إلى هذا الموضوع في كتاب بيتر نيومارك، كتاب دراسي للترجمة (نيويورك: برنتس هول،١٩٨٨) ص ٤٥ وما بعدها. بالإنكليزية

(٢٥) انظر، محمد عوني عبد الرؤوف، «الترجمة عند الساميين والعرب»، ص ٩٢.

(٢٦) اقتباس وارد في المرجع السابق، ص ٩٣.

شيشرون. وقد اشتهر بها شهرته بترجمته المعروفة «الفولغاتا»، ودعت هذه الرسالة فاليري لاربودس Valery Larbaudes أن يُطلق عليه لقب نصير المترجمين.

استمرت اللاتينية لغة دولية حتى بعد سقوط الدولة الرومانية، يُقبل الناس على تعلمها وتعليمها واستعمالها خصوصًا في الأوساط العلمية حتى أخذت العربية تنافسها تدريجيًّا، إلى أن أصبحت لغة دولية تُدرس في بلاد أوربية وخاصة البلاد التي فتحها العرب مثل الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا.

ويجدر بنا هنا أن نذكر الجهود السريانية في هذا الحقل. فبعد أن كان الآراميون قد وسّعوا نفوذهم في مناطق شرق وغرب الرافدين منذ القرن الرابع قبل الميلاد، بدأ الإنتاج الثقافي والحضاري للشعب السرياني (الآراميون المسيحيون) منذ القرن الأول الميلادي تقريبًا. وكان مركز السريان الحضاري وعاصمتهم في القرن الأول الميلادي وما بعده، مدينة (الرها) قديمًا، وهي مدينة (أورفة) الواقعة شمال الحدود السورية الحديثة مع تركيا اليوم. ومنذ ذلك الحين قام السريان بترجمة «الإنجيل»، وكان «العهد القديم» قد تُرجم إلى اللغة السريانية قبل هذا التاريخ، واستُعملت الآرامية لغة أصيلة في بعض فقراته[٢٧]. وفي هذا الإطار يجدر بنا أن نذكر جهود السريان في ترجمة القرآن الكريم في وقت مبكر. يكتب د. محمد صالح البنداق التالي: يبدو أن بعض من ترجم شيئًا من آيات القرآن، من غير المسلمين، كان السريان:. ويقول الأستاذ محمد حميد الله: إن في مكتبة مانشستر مخطوطًا فيه ترجمة هذه الآيات، وإن واضع

(٢٧) لمزيد من التفاصيل، انظر، د. عمر شيخ الشباب، التأويل ولغة الترجمة، ص ٦٢-٦٣.

الترجمة هو بار صليبي المعاصر للحجاج بن يوسف. ويضيف إن في متحف لندن مجموعة من المخطوطات باللغة السريانية تعود إلى عهد خلافة هشام بن عبد الملك، وفيها بعض آيات القرآن الكريم مُترجمة إلى هذه اللغة. ويقول الفيكونت فيليب دو طرازي إن ابن الصليبي مطران ديار بكر (ت ١١٧١م) نقل في القرن الثاني عشر إلى اللسان السرياني آيات جمّة من القرآن الكريم ضمها في مؤلَّف خاص كَسَرَهُ على ٣٠ فصلاً في ١٤٤ صفحة (كتاب الجدل)، وهو مخطوط في مكتبة بطريركية السريان في بيروت. ويضيف طرازي: «واطلعنا نحن على ترجمة سريانية للقرآن الكريم كاملة. ويتبادر إلى الظن أن مترجم تلك النسخة القرآنية هو باسيل مطران الرّها الذي كان من أبرع كُتّاب تلك الحقبة وأبلغهم»[٢٨]، وقد أفلتت هذه المخطوطة النادرة من حرب تحرير الأمير زنكي (٥٤٢-٥٩١هـ) لمدينة الرها عام ١١٤٥م. لقد قام السريان بالترجمة في حقول علمية شتى من أدب وفلسفة وعلوم، أي أهم ما أنتجته العقلية اليونانية. وقد حُفظت تلك الأعمال باللغة السريانية في تلك الحقبة، إلى أن تُرجم معظم هذه الأعمال إلى العربية في وقت لاحق.

لقد ورثت الثقافة العربية تراث الحضارات القديمة التي عاشت في المنطقة العربية، وقامت بتكييفها بصورة مختلفة تتناسب ونسيجها العقلي والفكري، نظرًا لأنها مولودة جميعًا من رحم واحدة. ويذكر مؤرِّخ العلوم عبد الحليم منتصر أن «الباحث المنصف لا يمكن أن يغفل أمر المدنيات القديمة التي سبقت العصر الإغريقي وتقدمت عليه في التاريخ، إذ لا يمكن أن تكون المدنية

(٢٨) محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم(بيروت:دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣)،ص٩٧-٩٨.

الإغريقية قد نشأت فجأة، وبمعزل عن المدنيات الأخرى من بابلية وآشورية ومصرية فرعونية، وقد كان بين الإغريق والمصريين القدماء صلات وتجارب وحروب، وقد ترك المصريون من الآثار والبرديات ما يدل على تقدمهم في كثير من العلوم والفنون من هندسة وتخطيط وتعدين وفلك... وقد أنصف هيرودتس الملقب بأبي التاريخ هذه الحضارات عندما قال إن معظم فلاسفة الإغريق القدامى أمضوا جانبًا من حياتهم في مصر وبلاد الرافدين»[٢٩]. وهذا ما جعلهم يطَّلعون على أصول هذه الحضارات ومظاهرها الفكرية والمادية، مما ساعدهم على بناء حضارتهم لاحقًا.

إن الباحث المدقق يجد أن تيار الفكر الحضاري الإنساني يتخذ عمومًا مسارًا واحدًا، لا يختلف كثيرًا عن تاريخ الإنسان ذاته, فالحضارات والثقافات المتنوعة يتفاعل بعضها مع بعضها الآخر لتنتج للإنسان ما يَسُدُّ حاجاته الروحية والمادية، وبذلك تكوّن الحضارات الإنسانية على مر العصور كلاًّ متماسكًا، يترابط ببنيانه ترابطًا جدليًّا لا تنفصم عراه. ويؤكِّد د. إبراهيم مدكور هذه الفكرة حينما يقول: «انقضى ذلك الزمن الذي كانت تنفصل فيه الثقافات العالمية الكبرى بعضها عن بعض، وتقام بينها حواجز منيعة لا تسمح باتصال أو تبادل. وأصبحنا نؤمن بأن الحضارات القديمة أخذت وأعطت، كما نأخذ نحن اليوم ونعطي، وأن الثقافة الإنسانية ذات موارد متعددة بين شرقية وغربية»[٣٠].

(٢٩) عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، ط٤، دار المعارف، ١٩٧١، ص ٢-٣.

(٣٠) إبراهيم بيومي مدكور، في الفلسفة، مقال في كتاب «أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية»، بإشراف اليونيسكو، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠، ص ١٣٩.

تجعلنا هذه الآراء نخرج بنتيجة وثيقة الصلة بالفكرة الأساسية في هذا الفصل: لا يمكن أن نُخضع تاريخ الحضارة الإنسانية لعملية فصل أو نضع حواجز أمام حضارة وأخرى، إذ لا يمكن أن تنشأ حضارة أو تنمو بمعزل عن غيرها من الحضارات الأخرى، ومن دون أن تتفاعل معها. ذلك أن مثل هذه النتيجة تقدِّم لنا تفسيرًا واضحًا لحركة انتقال الثقافة ذاتها من بيئة إلى أخرى، وتزودنا بدليل قوي لتفسير الوحدة العضوية لتاريخ العلوم ذاتها. لهذا كانت نظرتنا الأساسية هنا تقوم على فكرة أن الحضارات تأخذ وتعطي، تأخذ ما يتفق مع طبيعة البنية الفكرية للأمة، وتعطي ما يجود به عقلها ونشاطها الثقافي الفعال. وبطبيعة الحال فإن هذا التفسير أقرب إلى فهم روح الثقافة والنشاط الإنساني المتصل بذلك، والذي بدأ سيرته وتاريخه مع بداية الحضارة الإنسانية على هذه الأرض.

المراجع

١- أ. نيدا. نحو علم للترجمة، ت. ماجد النجار، (بغداد: مطبوعات وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٦).

٢- ابن النديم، الفهرست (بيروت: دار المعرفة، دون تاريخ).

٣- البنداق، محمد صالح. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣).

٤- البهبيتي. محمد نجيب. مقدمة كتابه «المعلقة العربية الأولى: عند جذور التاريخ، القسم الأول» ، (الدار البيضاء — المغرب: دار الثقافة، ١٩٨١).

٥- الخوري، شحادة. الترجمة قديمًا وحديثًا (سوسة/تونس: دار المعارف، ١٩٨٨).

٦- د. الجبوري، يحيى وهيب. الكتاب في الحضارة الإسلامية (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨).

٧- د. شيخ الشباب، عمر. التأويل ولغة الترجمة، (بيروت: دار الهجرة، ١٩٨٨).

٨- د. عبد الرؤوف، محمد عوني. الترجمة عند الساميين والعرب (صحيفة الأندلس، مدرسة الألسن، العدد الأول، ذو القعدة ١٣٩٢، ديسمبر ١٩٧٢).
٩- د. غزاوي، نجيب. المكتبات عبر التاريخ (مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية – سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد ١٤ (العدد ١) ١٤١٢هـ، ١٩٩٢).
١٠- د. فروخ، عمر. عبقرية اللغة العربية (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨١).
١١- د. محمد نجيب، عز الدين. أسس الترجمة (القاهرة: مكتبة ابن سينا، ١٩٩٥).
١٢- سعادة، جبرائيل. أوغاريت حاضرة كنعانية (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٧٩).
١٣- سعيدان، أحمد سليم. تعريب العلم والتفكير العلمي في العصور الإسلامية الأولى (التربية،العدد ٩٧، حزيران١٩٩١).
١٤- ماغوير، سوزان باسنيت. دراسات في الترجمة (لندن ونيويورك: دار مثيون، ١٩٨٠).
١٥- محمد، عوض محمد.فن الترجمة (مصر:معهد البحوث والدراسات العربية – جامعة الدول العربية،١٩٦٩)
١٦- مدكور، إبراهيم بيومي. في الفلسفة، مقال في كتاب «أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية» ، بإشراف اليونيسكو (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠).
١٧- منتصر، عبد الحليم. تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، ط٤ (دار المعارف، ١٩٧١).
١٨- نيومارك، بيتر. كتاب دراسي للترجمة (نيويورك: برنتس هول، ١٩٨٨).